قراءة في معجم عمارة الشعوب الإسلامية

د.علي ثويني

٢-١

يصدر عن دار النشر -بيت الحكمة- في بغداد خلال الأسابيع القادمة (معجم عمارة الشعوب الإسلامية) الذي أعددناه خلال السنوات الست الماضية،وتسنى لنا أن نجمع فيه كل ما أقتطف من المعلومة المستقاة من التراث والحداثة المعمارية.ويمكن أن يشكل سفراً جامعاً للمصطلحات وسير الأعلام وشرحاً للمعلومة في العمارة وفنونها، وجسراً لعبور مفاهيم وشجون التراث الى الحداثة التي تبقى همنا وديدننا. وإذ رصدنا شحه في التدوين الفني العربي عموماً، لاسيما في منتج الدراسات الموسوعية ودوائر المعارف لأسباب لانفهمها، كون تلك الثقافة تزخر بطاقات لاتنضب من الباحثين الجديرين والأكفاء في الخارج والداخل لإخراج مثل تلك الأعمال. كل ذلك يثير الريبة في النفوس، بمآرب مسيري الثقافة حينما حالوا دون هذا التوجه الحضاري.

المعاجم في التراث الإسلامي

ولا يمكن اعتبار العمل المعجمي مستجدا على الثقافة العربية الإسلامية، فلتلك الثقافة والحضارة ريادة وحضور مشهود في هذا الضرب من النتاج الفكري الذي وصل الذروة.والحركة المعجمية في الثقافة الإسلامية انطلق بها أهل العربية، والناطقون بها ، وأنكبوا يعملون في وضع الضوابط لها، خشية من تفشي اللحن فيها، فجمعوا مفرداتها وتعابيرها من ألسنة البدو، وجمعوا الشعر من رواته، وأنشأوا علوم النحو والصرف والبلاغة والعروض ومصطلح الحديث والقراءات والتفسير.

وكان النشاط المعجمي أحد تلك المجالات التي سعى إليها مبكراً المسلمون الأوائل ، ومن مكث على دينه من أخوتهم.وقد نشأت كرد فعل لتفادي أخطاء المعربين الجدد .و ورد إصطلاح عجم وأعجمي ومنها معجم للدلالة على من لايتقن العربية الحجازية، بالرغم من أن المعنى إلصق لاحقا بالفرس قصرا. وقد شملت كلمة أعاجم في بدايات الفتوح الإسلامية كلاً من الفرس والنبط (الآراميين سكان العراق والشام) والمصريين والبربر والهنود وبقية شعوب البلدان المفتوحة..

وهكذا ظهرت بوادر الدراسات المعجمية في البصرة كمساهمة عراقية رائدة ومتميزة ومتفضلة، على يد رعيل أثرى العربية وأخرجها من إطارها الديني(اللاهوتي) المقتصر،الى فضاء رحب من ضروب التوظيف الإبداعي. فسار عملهم اللغوي المعجمي في مراحل عدة، منها جمع المفردات النوعية في موضوع واحد، مثل كتب الأصمعي في النخل والخيل، ومنها وضع المعجم على نمط خاص في الترتيب ليرجع إليه من أراد البحث عن الكلمات ومعانيها. ويسود الاعتقاد لدى الباحثين أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ-٧٩١م) كان أول من وضع معجماً لغويا عربيا سماه (كتاب العين) فارسى بذلك منهج التأليف المعجمي. ثم قام بعده من وضعوا المعاجم المتنوعة، منها معجم (الحروف) لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ-٨٢١م) ومعجم (الألفاظ) لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ/٨٥٨م) و (الجمهرة) لابن دريد (ت ٣٢١ هـ-٩٣٣م) و(البارع) لأبي علي القالي (ت ٣٥٦ ه-٩٦٦م) و (تهذيب اللغة) للأزهري (ت ٣٧٠ هـ-٩٨٠م) و(مقاييس اللّغة) و(المُجمل) لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ-١٠٠٤م) و(الصحاح) للجوهري (ت ٤٠٠ هـ-١٠٠٩م) و(المحكم) و (المخصص) لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ-١٠٥٦م) و (لسان العرب) لابن منظور (ت ٧١١ هـ-١٣١١م) و(القاموس المحيط) للفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ-١٤١٤م) و(تاج العروس) لمحب الدين المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ-١٧٩٠م). ولايفوتنا هنا أن نتذكر كتب الموضوعات وأقربها الى التنظيم كان معجم البلدان لياقوت الحموي(٥٧٣- ٦٢٥ هـ ١١٧٨-١٢٢٨م). وعادة مايذكر أن إسامه إبن منقذ الشامي قد ألف بالشعر تحديدا (المنازل والديار) ويعتبر سابقة وريادة عالمية للثقافة الإسلامية، الذي يحظى بإعتراف الجميع.

وتوسع الإنتاج المعجمي وتعددت مذاهبه حتى ظهرت ثلاث مدارس هي:

•مدرسة الخليل التي اضطلعت بترتيب المواد على الحروف حسب مخارجها وتقسيم المعجم إلى كتب، وتفريع الكتب إلى أبواب بحسب الأبنية، وحشد الكلمات في الأبواب، وقلب الكلمة إلى مختلف الصيغ التي تأتي منها.

•مدرسة أبي عُبيد القاسم بن سلام، وقواعدها بناء المعجم على المعاني والموضوعات، وذلك بعقد أبواب وفصول للمسميات التي تتشابه في المعنى أو تتقارب، وكانت طريقة أبي عبيد من أولى المراحل التي بدأ فيها التأليف اللغوي، ولكن بدأ كتبا صغيرة، كل كتاب يؤلّف في موضوع، مثل كتاب الخيل، وكتاب اللبن، وكتاب العسل، وكتاب الحشرات،....الخ.

•مدرسة الجوهري و تنتسب إلى الإمام الجوهري الذي ابتكر منهجا قرب اللغة إلى الباحثين. ومئات المعاجم والكتب اللغوية مرتبة ترتيب الجوهري ما يدل على عظم مدرسته. ونظام هذه المدرسة ترتيب المواد على حروف المعجم باعتبار آخر الكلمة بدلا من أولها، ثم النظر إلى ترتيب حروف الهجاء عند ترتيب الفصول، والأول سماه بابا، والثاني فصلا، فكلمة "بسط" يبحث عنها في باب الطاء لأنها آخر حرف فيها، وتقع في فصل الباء لأنها مبدوءة بها.

الإصطلاح والفكر

ويُشكل المصطلح الإسلامي عموما أحد الرموز الثقافية المهمة الدالة على خصوصية تلك الأمة، وهو أحد المكونات الأساسية لهويتها الحضارية. بل أن بعض الباحثين يعتبر المصطلح جزءاً من النظرية السياسية في الإسلام، وجرى التعامل مع المصطلح الإسلامي بأسلوبين متناقضين، أحدهما التفريط، والآخر الإفراط. البعض يتخلى عن المصطلح الإسلامي ويميل الى المصطلحات الأجنبية بحجة الحداثة والعصرنة والسير في طريق الغرب او التغرب والانبهار، وهناك من يتجمد عند الموروث من الاصطلاحات الإسلامية بلا تمييز بين ما هو من الثوابت وما هو من المتغيرات القابلة للمرونة والتطور، وبلا استعداد للأخذ بما يصح الأخذ به من المصطلحات المعاصرة. وإذا كان الموقف الأول ينتصر للتغرب الثقافي ويرفض الأصالة والخصوصية، فان الموقف الثاني يتجاهل التطور المستمر في حركة الحياة، وبهذا يحمل كلا الموقفين في داخله بذور الخطأ والبعد عن الصواب.فما هو المصطلح؟ وهل يوجد مصطلح إسلامي؟.

فالمصطلح هو اللفظ الذي يضعه أهل عرف أو اختصاص معين ليدل على معنى معين يتبادر إلى الذهن عند إطلاق ذلك اللفظ ويغلب هذا في الأمور الفكرية والفنية والسياسية والاقتصادية والدينية والقانونية.و أن قيمة الكلمة تتمثل في عطائها الفكري وفي تجسيدها المعنى الذي يراد التعبير عنه بها، ولا تحمل أية قيمة ذاتية، والكلمات تفقد رصيدها الفكري وتذبل وقد تموت كما يموت كثير من الناس، وقد تحيا بعض الكلمات أو المصطلحات فتبعث إلى الحياة من جديد .

والمصطلحات الحديثة كثيراً ما شوّهت حقائق التاريخ وأصول المفاهيم ونتاجات المجتمع الفكرية والفنية، وحملت شحنات لنسق الحقائق أو تزييفها.والإسلام على العموم مستهدف من أعدائه ، ولعل أخطر شيء يواجه الثقافة الإسلامية حاليا، التشويه والطمس لملكاتها (الإصطلاحية) ،كي يعلن قطيعة وفجوة وجفوة بين المنتسبين والمنشغلين بنفس الثقافة ،بعد أن تشتت اصطلاحاتهم ،وأفتقد الحوار والتواصل بينهم سلاسة مرجوة،بما يهدد وحدتهم في الصميم. وثمة مغالطة "إستشراقية" وكذلك "إستغرابية" بإرجاع الاصطلاح لأصول يونانية أو لاتينية قصرا،كي يضفوا قطيعة مع واقع التاريخ المحلي للشرق القديم، الذي أستمد منظوماته الاصطلاحية من استرسال جهود آلاف السنين من النتاج الفكري المحلي لأهله،التي أمست ذات طابع عالمي. وفي ذلك شجون تدعو إلى العجب العجاب، وتحتاج إلى مجهود بحثي منزه ومنهجي،وغير تابع لتوجهات مسبقة .

نلمس حمى إنتاج المعاجم و الموسوعات و دوائر المعارف قد عمت ضروب ثقافة اليوم في كل الثقافات بإستثناء العربية (لغة الإسلام)، التي تئن من الفاقة التدوينية عموما و في الفنون والعمارة خصوصا. وما محاولتنا هذه إلا دلو متواضع لاينافس بقية المحاولات بل يثريها ،وتبقى الغاية منه ملء بعض الفراغ الذي تعاني منه الحالة التدوينية في تلك الثقافة ،حينما تفوقت عليها بعض الثقافات التي لا يحسب لها حساب لقلة المنتمين إليها مثل دويلة إسرائيل التي بدأت من كلمة (شلومو) وأحيت بعد حين لغة شبه ميتة فرضتها على شتات من البشر ،نفخت فيهم التوحد واغدقتهم بالعز، حتى تسنى لتلك الجموع أن تنتج ثقافة راقية و تنشر في مجال العمارة والفنون وحدها، ما يعادل كل ما قدرت عليه الأقطار العربية مجتمعة .وهكذا فأن اللغة بأهلها وجهدهم المبذول وليس بمعزل عن قيمة الإنسان وقيمته المعنوية،التي تبقى الجوهر في كل الخطط و البناءات .

وهنا يمكن الركون الى حقيقة أن العمارة هي أقرب شجون الثقافة والفنون الى هواجس الإنسان و سكناته وحركاته، فهي المدينة والزقاق والدار والعمل .وإن وسمت العمارة بأنها فن فهي الضرب المفيد من الفن، وليس العابر والكمالي ،بل هي الضروري و يعتبر الفقه بها من مقتضيات تلك الضرورة،وتدوين المصطلح والمعلومة من أهم آلياته.

العربية السرمدية

لست متعصبا للعربية على طريقة "أهل السياسة" ، حينما تاجروا بكل شئ من الثقافة حتى مقدرات شعوبهم وأضاعوا فيها الكرامة والبحبوحة والأرض ، لكني محب للعربية بسبب أزليتها التي توجت بالقرآن الكريم وأثرت بالتراث الإسلامي .لقد حملت تلك اللغة عبق تقادم الدهور وتجربة البشر الذي أضفى عليها ثراء فوق ثراء ،ووهبها كما من الغنى التعبيري والرمزي ،وجعلها بالنتيجة فضاء رحبا يجد المرء فيه ضالته التعبيرية.

لقد ساهمت كل الحضارات والشعوب من مشارق الأرض ومغاربها قبل وبعد الإسلام في سمو (اللغة الإسلامية)، و تلاقحت خلالها كل التجارب المادية للبشر لتسمو بما استوعبته من الغنى الروحي القادم من حجاز الجزيرة العربية إلى مدى بعيد ،وأصبحت لتلك اللغة القدرة على الاختراق والمكوث في كل ثقافات الدنيا حتى في اسكندنافيا القاصية التي احتوت لغات أهلها على مفردات عربية، الأمر الذي جعل السويدي أنكمار كارلسون يقول في كتابه (الإسلام وأوربا) : أن العربية اخترقت كل الثقافات وجدير أن نلهج بصددها :(الأرض تتكلم العربية). وقد سبقه الى ذلك "شيخ مؤرخي العلم" (جورج سارتون) في كتابه (تاريخ العلم والإنسانية الجديدة) يقول فيها ما يلي: (منذ منتصف القرن الثامن وحتى أواخر القرن الحادي عشر كانت الشعوب التي تتكلم العربية تتقدم موكب الإنسانية وبفضلهم لم تكن العربية لغة القرآن المقدسة وحسب بل أصبحت لغة العلم العالمية وحاملة لواء التقدم البشري.

وكما أن اقصر طريق يسلكه شرقي الآن إلى المعرفة أن يلم بلغة من لغات الغرب الرئيسية ،كذلك كانت العربية خلال تلك القرون الأربعة مفتاحاً وأن شئت فقل "المفتاح الوحيد" الى الثقافة التي ملكت ناصية الفكر).

ليست العربية كلمات وأصواتاً منقولة عن غابر الأزمان فحسب،بل هي روح تؤثر على "العقلية" ومنهجية التفكير ، لما ترسمه من ملامح نظامية ومنطقية، ودلالات رمزية(سميولوجية) ترتبط بالخيال .وقد بحث في تلك التأثيرات الفرنسي (بياجيت Piaget)بما يدعى (علم النفس التطوري Developmental psy-chologey)الذي أضطلع بإعطاء الصفة الإبداعية موقعها المتميز في (علم النفس المعاصر . (Psycholingustcs)وقد فصلت فيها العوامل من وراء ما يصدر من كلام إلى:

١- المرشح العاطفي الاجتماعي Socioaffec-tive filter.

٢- المنظم العقلي Cognative organizer

٣- المراقب a monitor

٤- الشخصية

٥- التجربة الماضية والتراكم التاريخي .

وينتبه إلى تلك التأثيرات الفرنسي أندريه باكار في كتابه(العمارة الإسلامية في المغرب) منوها الى أن الاسترسال بتلك التأثيرات يمكن تشبيهه بالمنحى الفني للإسلام وتحاشي التصوير والتصريح التمثيلي في الفنون بما جعل ذلك جسرا عبرت عليه الأفكار إلى حالة من التأمل، ويضيف بهذا الصدد(وهو دليل يماثل تماما تلك الفلسفة التي أتاحت للعرب اختراع علم الجبر). ومن الجدير ذكره بهذا الصدد أن بعض العلماء الغربيين يتبنون اليوم فكرة إعادة تجربة تلقين اللغة العربية لبعض الطلاب النابغين في بلدانهم،والغرض من ورائه إيجاد آليات معاصرة لإنتاج جيل جديد من (اللوغارتمات) وهو علم ظهر في بغداد على يد الخوارزمي في عشرينيات القرن التاسع الميلادي ،اعتقادا منهم أن لتلك اللغة من منطق تكويني يجعل العارف بها قادراً على تقمص لحظة الإلهام التي أبدعت الجيل الأول.

ويحز في النفس اليوم وجود ذلك الكم من المعاجم عن الحضارة والفنون والعمارة الإسلامية في اللغات العالمية دون أن يكون للغة الإسلام نصيب فيها .ونقر بأن تطوير ذلك الجانب المعرفي يحتاج إلى صدق في النوايا وحسن للتوجه والتوجيه. وأذ نرتئي إنضاج ذلك المصطلح وتلك المعلومة ليحل محل الإنكليزية أو الفرنسية أو الروسية لتصب في النتيجة تأهيل تواصل الفرقاء في الثقافات الإسلامية. ونرصد هنا السقم الذي يعتري تلك الثقافات بالمقارنة مع ما يتعلق بدفق الكلمات والمعاني ودقة المصطلح وكم وعمق جذوره في العربية ،كون العربية و ببساطة لغة معانٍ وحسيات ورمزية وشعر منذ نشأتها. ونأمل أن تكون لنا هيئة عليا متخصصة غير مسيسة، تتسع على نطاق العالم العربي والإسلامي وتنشغل في تطوير ذلك وتكرسه في الدراسات الأكاديمية.

وإذ اكتفيت في هذه المرحلة(بالمعلومات والأعلام) فقط ، لندرة طرقها في معاجم العمارة السابقة . ويمكن أن تجمع تلك المعلومات البربري في المغرب مع الكردي في جباله أو الماليزي في جزره ،و.يمكنها أن تكون معاضدة لعولمة روحية وثقافية على عكس اللغات الاستعمارية التي فرقت بين المغرب والمشرق العربيين مثلا،بعد أن تقمصا التبعية للفرنسية أو الإنكليزية.

ولا نغالي إذا قلنا أن جل اللغات الإسلامية تحتوي في ثناياها على نسبة ما يقارب ٥٠-٨٠٪ من المفردات العربية. و لدينا منها لغات تمثل ثقافات واسعة الانتشار كالإسبانية التي ترد كلمة عربية من كل خمس كلمات فيها أي ٢٠٪ ، وتشمل تجمعات اللغات الفارسية والتركية والهندية والأفريقية والبلقانية . فنجدها مثلا في لغات وسط آسيا القازانية والتترية والقرمية والكاراسية والأذرية والداغستانية والجركسية والقرغيزية والجغتائية والتكية والأوزبكية والكشغيرية.

أما في اللغات الهندية فنجدها في الهندستانية والأوردية والدكنية والكشميرية والسندهية والجادكية والملقية ولسان الجاوا والبيجون. وفي اللغات الفارسية نجدها بالفارسية الحديثة و الأفغانية أو البنبتوية(البشتون) والكردية بلهجاتها البادنانية والسورانية والفيلية وكذلك في البلوشية. أما في اللغات الأفريقية فنجدها في البربرية بلهجاتها الشلحية والقبائلية (الصغرى والكبرى) وكذلك النوبية والحوسية (الهاوسا) والسواحلية (خليط بين البانتو الافريقية والعربية تشكل ٧٠٪ منها)وكذلك في الملكاشية. و انتشرت العربية واثرت في اللغات واللهجات الإندونيسية ، التي تشكل ثقلاً ثقافياً عالميا كبيراً، وأثرت العربية في لغات أهل البلقان بمجموعها السلافية واللاتينية واليونانية والألبانية. وهكذا يشكل هذا الرصيد ذخرا لتطوير حالة موحدة لمصطلح عمارة المسلمين، يمكن أن يكون وسيلة للتواصل والتقارب بين أصقاعهم . وفي قراءة قمنا بها لمراجعة المصطلحات العمارية التي وردت في العمارة التيمورية (نهايات القرن الرابع عشر وأواسط القرن الخامس عشر الميلادي) التي تكرست في آسيا الوسطى وأفغانستان وفارس والهند، والتي تعتبر من أكثر الطرز العمارية نضوجا ،كان المصطلح العربي يشكل حوالي ٨٠٪ من مفرداتها، ما يدعو للإعجاب بتلك اللغة التي اخترقت التركية والفارسية والمغولية هناك ،وتداولها صعاليك وسلاطين تلك الأصقاع،ومن الملفت للنظر أن كل علماء تلك الأصقاع لم يدونوا كتبهم العلمية إلا بالعربية،ونجد في سياقات المعجم سيرة أحد هؤلاء الأفذاذ الموسوعيين يدعى غياث الدين جمشيد كاشاني المتوفى عام(١٤٣٦م -٨٣٦ هـ)،والذي عاش في أواسط آسيا أيام ذروة العهد التيموري،بأنه ترك أغنى المؤلفات بالعمارة والهندسة والفلك بلغة الضاد،دون غيرها.

حزن حبة رمل في زوبعة للشاعر الكردي فرهاد شاكلي

زهير كاظم عبود

في لغة بعيدة عن الترهل والتضخيم تبدأ قصائد الشاعر فرهاد شاكلي بنداء أزلي يصدر من أعماق الروح ، بعيداً عن خطابات العشق والسرد الطويل لكي تصل الرسالة التي يوجزها فرهاد شاكلي بكلمات مغلفة باللوعة والأنتظار لفهم الف باء لغة الناس وماتأتيه دروب الليل والنهار .

و في لغة تعتمد البساطة والوضوح يبدأ شاكلي قصائدة الملتاعة يهدينا كلمات مرسومة فوق اجنحة الطيور الحزينة ، وصوراً ملونة مرسومة فوق وهج الشمس المرتد على صفحات الماء النازل من قمم جبل (بيستون) ، ليستقر فوق شغاف القلب ، وأوتار تعزف لحناً حزيناً ، طازجة مثل خبز الأمهات ، وليس ثمة ليل بين نهارات القصائد التي يكتبها فرهاد ، فكلماته مضيئة ، غير ان لها وقع الخطى الغريبة حين ترنو صوب كردستان .

((تعال
فوحدك تفهم لغة هذي المدينة
تعال
فوحدك الخبير ،
تعرف الدروب في الليل والنهار
لم لاتأتي ؟
وأنت الحكيم والهادي
تعال ولو مرة .....))

لن تجد ثمة أسراراً بين حروف القصائد ، فهو يكتبها واضحة كخيوط الشمس ، يغمرها الضياء وتملأها المحبة ، لكنها مغمورة بالدموع والضحكات الخفية ، ليس ثمة أسرار بين زوايا حروف القصائد ، كما ليس هنالك طيف يمر بليل ، ثمة هواجس تنبع من ذات الشاعر تضج بها روحه المتخمة بليل الغربة والنأي عن كردستان القصية ، مع ان الثلج والبرد قاسم مشترك ، لكن ليل القصائد يدق على ابوابه المشرعة ناقوس الرحيل ، ثمة قلق في روح الغريب دائماً ، ثمة كلمات ممتلئة بالسهاد ، غير انه يجسدها عبر قصائد صادقة كطبعات الأصابع:

((يقولون : ستموت
ستموت (يافرهاد)
تستحيل طيفاً ،
تجيء ليلاً ، تمر على مدن وقرى البلاد
يلمحك طفل عجول وبشوش
ويتأملك برهة
لعله يتذكر لاما
محياك وصوتك في حلم شتوي))

كلمات تتدفق كأنها رذاذ ماء شلال كردستاني ، ودروب مظلمة دون نهارات ، وعيون طافحة بالدمع والورد والسكينة ، بعيداً عن شواطئ المدن الضاجة بالحركة وحفيف الشجر وزقزقة البلابل ومطر آذار ومطرقة كاوة الحداد وجبل آزمر ، لكنها يانعة كسنابل (كوي) .

ويمتطي الشاعر أجنحة الكلمات يسافر بها عبر حدود المدن التي وفرت له كل شيء الا الحنين الى كردستان ، ثمة خيط أزلي من المشاعر والروابط التي تشدها عبر كل فوارزها ونقاط تفتيشها وبوابات الحدود ، ومدن يغادرها الضوء ويغمرها السكون ، لكنه يبقى يرسم قرى (كرميان) وطرقها المترية الممتلئة بشقائق النعمان والورد البري وقوس قزح وآثار الأقدام في طين الدروب المترية ، تضج في جدران بيوتها المحبة ومشاعر الفقراء والعصافير التي تحط في ساحاتها تتقافز فوق أسطح بيوتها النائية ، لايعرف اهلها عن الدنيا ابعد من مدنهم ، لكنهم كانوا ضمن محنة الأنسان التي أكلتهم في بلاد الشمس .

((أن كنت غيماً ، أو مطراً ،
أن كنت برق الليالي
فأمض الى السهوب والجبال
في كردستان
وأنهمر
مثل نهر شعاع ..))

وحين يتلفت يميناً ويساراً تجد انه أستطاع ان يحول مشاعره الأنسانية الى قصيدة ، وتلك ميزة من مزايا القصائد التي كتبها (فرهاد شاكلي) ، ربما لأنه يشعر باجتياح كردستان على مشاعره ، وربما ان كردستان نفسها تلون له كلماته ، يكتبها فوق الصخور المبللة بماء المطر وبقايا دماء البيش مركة ، وفوق بريق السماء في ليالي الشتاء ، حين تصير للمطر رائحة من تراب ، وتخضر روابي المدن الفقيرة ، فتزهر أشجار الجوز وترقص شجيرات البلوط ، فلا يستطيع أن يكبت مشاعره.

((تمعن ، ايها المسافر الحزين في زرقة البحر ،
فأمواج الجروح تصطفق
وسواحل الآلام مقفرة
الا من الوجوه التي تبكي بصمت
وأنت تنصت الى همس الحبيب البعيد
يأتيك نداء الوطن المسبي ....))

وحين نتصفح قصائد الشاعر فرهاد شاكلي نتلمس تحرره من القيود اللغوية ، بالأضافة الى عدم بقائه ضمن دائرة واحدة ، فهو يحلق بأنسيابية دون قيود ، ولهذا نجد ان اللغة التي يعتمدها شفافة وسهلة ، بالرغم من أن الترجمة من اللغة الكردية الى العربية تفقدها الكثير من جوانبها الأشراقية ، وبعيداً عن الموضوعات التي بقي شعراء آخرون ضمن دائرتها ، فقد حاول فرهاد شاكلي أن يتخلص منها ، وكتب قضاياه الفلسفية ، وربما الذاتية ، وأحياناً مشاعره التي تجيش في عمق روحه ، وأدخل وهج كلماته في منازع الصوفية حين خصص لها الكتاب الثاني من ديوانه (على جدران زنزانتي أحفر أسمك) ، والذي قدمه بكتابات الشيخ الغزالي ، ورسم بها أضاءات ونواقيس للشك ومرايا تعكس الروح وحزن الحصى ، وتشعر وأنت تقرأ قصيدة (تقول لي النجوم) ، انها مسايرة لخطوط الفلسفة الروحية التي توجها بأشراقة الشمس الشاحبة ، ويصير نقطة يعقد في فجر المقادير الواحد والالف ، وتحذره النجوم من أن لايفشي سر الليالي المظلمة عند الشفق .

أوتار التنائي أو حزن حبة رمل في زوبعة ديوان من الشعر الكردي الحديث للشاعر فرهاد شاكلي المولود في قرية شاكلي من قرى كرميان بكردستان العراق ، والذي يحتوي على ٦٩ قصيدة متنوعة ، ترجمة جلال زنكابادي ، أصدار دار الحصاد بسورية ٢٠٠٤ .

في الذكرى ٢٢ لرحيل المربي والاديب البصري محمد جواد جلال

عبد الحسين الغراوي
البصرة

يعد الباحث محمد جواد جلال استاذاً جليلاً ومربياً بصرياً فاضلاً وعلماً من اعلام الثقافة والادب في البصرة التي عرفت بشخصياتها الادبية والفكرية واللغوية والثقافية... وحياة هذا الانسان النبيل والمربي الفاضل حافلة بالانجازات الثقافية والتربوية والادبية، فقد كان منذ طفولته وصباه زاهداً وملماً بعلوم المعرفة الانسانية ومولعاً بالقران الكريم الذي جعل منه دستوره الايماني والروحي. ولكي نستذكر هذه الشخصية البصرية العريقة وفاء وعرفاناً للاستاذ الراحل محمد جواد جليل- التقينا ولده نزار محمد جواد جلال الذي تحدث عن حياة والده الزاخرة بالعلم والادب والمعرفة حيث قال.

-ولد الراحل محمد جواد جلال عام ١٩٠١ في البصرة في محلة السيمر وكان لوالده فضل عظيم في تربيته، وفي طفولته عكف على تعلم القرآن الكريم والخط والحساب، وكان جدي يصطحب والدي الى الدواوين التي كانت منبراً حراً للثقافة والعلوم، وكان يلتقي فيها اعلام وعلماء البصريين في ذلك الوقت ووالدي حفظ القرآن الكريم وهو صغير وكان محباً للمطالعة ولدية في دارنا مكتبة تضم الكثير من الدواوين الشعرية والقصصية والروائية والنقدية والثقافية والفقهية واللغوية.

ويضيف مازن:

نمت ملكة وموهبة نظم الشعر عند والدي وهو لم يعرف بعد النحو العربي، ولاستكمال موهبته بحث له والده عن معلم يعلمه قواعد اللغة العربية وكان له صديق بغدادي هو المرحوم صادق الاعرجي وكان يومئذ نزيلاً في البصرة في عهد الاحتلال البريطاني وهو اديب وشاعر فأخذ يطلع على شعر والدي واعجب به كثيراً، ومنذ ذلك الوقت تنبأ له بموهبة ومستقبل زاهر، وبدأ هذا الاستاذ الاديب الجليل يعلمه قواعد النحو في احد المساجد، وسرعان ما تعلم قواعد اللغة والنحو والصرف والعروض والبلاغة وعلم المنطق.

ويستعرض السيد نزار محمد جواد جلال سيرة والده الابداعية بالقول:

-كان والدي يتعلم اللغة الانكليزية في صف مسائي في مدرسة البصرة الابتدائية، وكان متفوقاً على زملائه فأدرك المعلم (عبد السلام عزة) انه يجيد قواعد اللغة فأخبر بذلك (ناظر المعارف) اي مدير التربية (المستر رايلي) فاستدعاه ثم طلب من المفتش الهندي (محمد يواز) الذي كان يجيد اللغة العربية ان يختبره وتقرر بعد ذلك تعيينه بدون تقديم طلب بمدرسة السيف الابتدائية وكان ذلك في عام ١٩٢١ كما يؤكد ذلك ولده نزار الذي واصل الحديث عن حياة والده: ولارتقائه مكانة مرموقة في سلك التعليم اعتمدته دائرة معارف البصرة لاختبار المعلمين وبيان مدى صلاحيتهم للتعليم، لانه كان الوحيد الذي يحسن قواعد اللغة العربية بين موظفي الدائرة... وفي تلك الفترة المت به مصيبة وفاة والده الذي ترك له عائلة كبيرة لكن والدي قاوم بعزيمته وقوة ارادته وصبره هذه الظروف الحياتية والمعيشية القاسية، وكان انتظامه في سلك التعليم عاملاً في اطلاعه على العلوم الحديثة، وهنا اخذ يبحث عن استاذ يحقق له رغبته وطموحه، فوجد الاستاذ محمد رؤوف المهندس والد السيد احمد صاحب مطبعة البصرة، وتوطدت بين الرجلين صداقة قوية، وكان يترجم له بعض الكتب التركية ومنها الكتب العلمية والرياضيات وعلوم الطبيعة، وبعد عام، كما يخبرنا ولده نزار محمد جواد جلال: حصلت حملة للكتب العلمية في مصر فاستفاد منها كثيراً، واستمرت دراسته هناك خمس سنوات، بعد ذلك تفرغ كلياً للعلم والمعرفة والقراءة، وكان من عادة والدي الراحل محمد جواد جلال السهر حتى اليوم الاخر منشغلاً طوال الوقت بالقراءة... وخلال سنوات ١٩٢٨/١٩٢٩/١٩٣٠ انتقل من البصرة الى مدرسة الناصرية الابتدائية، ثم الى ادارة مدرسة سوق الشيوخ ثم الى متوسطة العمارة.

ونتيجة كفاءته وثقافته وموسوعيته المعرفية في قواعد اللغة العربية تقرر تعيينه على الملاك الثانوي في ثانوية العمارة وقضى هناك (١٢) سنة وكان لوالدي في بيته مجلس يحضره الادباء والمثقفون. وفي عام ١٩٤٥ تقل الى ثانوية البصرة للبنات، ثم نقل الى ثانوية البصرة للبنين، بعدها الى دار المعلمين. وفي عام ١٩٦٣ وبعد بلوغ والدي سن الـ٦٣ سنة وبناء على طلبه احيل الى التقاعد وفي تلك الفترة طلبت منه جامعة البصرة القاء محاضرات في كلية الاداب عن تاريخ الادب العربي ومحاضرات اخرى في قواعد اللغة العربية.

واوضح ولده نزار، ان دار والده تحولت الى مزار لمحبي الثقافة والعلم والادب وطلاب العلم والمعرفة..

وعن مؤلفات الراحل الاستاذ والمربي والعلامة الفاضل محمد جواد جلال ذكر ولده نزار محمد جواد جلال:

بعد احالته الى التقاعد تفرغ كلياً للمطالعة والتاليف والف ٢١ كتاباً ثلاثة منها مطبوعة هي (فلسفة الامام) و (علوم القرآن) و (ادب القرآن)، ومن مؤلفاته الاخرى ديوان شعر اضافة الى كتب اخرى في الفلسفة والمنطق واللغة والقواعد والطبيعة.. ومثل هذا التراث الادبي واللغوي والفقهي لابد من ان يحظى بالرعاية والاهتمام ويصار الى جمع مؤلفات الاستاذ الجليل الراحل محمد جواد جلال الذي يمثل رمزاً ثقافياً بصرياً مهما ولكي يطلع الباحثون والدارسون والاكاديميون على الارث الثقافي والفكري واللغوي لهذا العلامة البصري والمربي الفاضل محمد جواد جلال اكراماً وتوثيقاً لحياته الزاخرة بالمنجز الادبي والانساني وهذه دعوة الى وزارة الثقافة ومركز دراسات البصرة بجامعة البصرة لاحتضان التراث الخالد للعلامة الكبير والاستاذ الجليل محمد جواد جلال...

اما عن نشاطه الاخر فقد قال عنه ولده:

-انه كان يكتب في الصحف والمجلات العراقية والعربية، كما كتب عن المرأة في الاسلام في عشرين عدداً من جريدة المنار البصرية من دون ذكر اسمه.

ومن منجزاته قيامه بتأسيس الرابطة الثقافية في البصرة سنة ١٩٥١ وانتخب رئيساً لها. بتاريخ ١١/٩/ ١٩٨٣ انتقل الى جوار ربه...